مفهـــوم الوسطيـــة

إعداد

د.أحمد أحمد إسماعيل سالم

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين بالقاهرة

ا.م بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام

١٤٤١هـ-٢٠٢٠م

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

يعد مصطلح الوسطية من أبرز سمات الإسلام وخصائص الأمة المسلمة، وهو مصطلح شرعي له معناه من قديم، فليس وليد اليوم، وفي إطار الحرب الفكرية التي تشن على الإسلام والمسلمين يتم استخدام حرب المصطلحات، ولقد نال مصطلح الوسطية والاعتدال حظه في هذه المعركة الفكرية، حيث أوصت بعض تقارير مراكز البحوث الغربية بصياغة إسلام وسطي جديد بواسطة نفر من المسلمين يمثلون التيار العلماني والليبرالي والعصراني والتنويري في العالم الإسلامي، وهذه التيارات سعت بنشاط لإفساد الدين تحت ستار الوسطية والاعتدال، وتوظيف هذا المصطلح الشرعي للجمع بين الفكر الغربي والإسلام بما يتفق مع المصالح الغربية..

وقياما بالواجب الشرعي في حفظ الدين وتبليغه والدفاع عنه، أقدم هذه الدراسة المتواضعة عن مفهوم الوسطية من مصادرها الأصيلة، حماية لهذا المصطلح من الانحراف به ليكون خادما للعلمانية والليبرالية ، ومن هذا المنطلق جاء البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فتتناول أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته. ثم تناولت عبر فصوله مفهوم الوسطية في اللغة والقرآن الكريم، والسنة النبوية، واصطلاح علماء الإسلام.ثم الاعتدال الإسلامي في المفهوم الغربي.

وتبين من خلال الجولة في المصادر الأصلية عدة نتائج منها: أن مصطلح الوسطية مصطلح شرعي ولم يبعد في معناه عن المعنى اللغوي، وتفسير الوسطية بغيرما ورد في اللغة والشرع أمر مرفوض من الناحية الشرعية والمنهجية العلمية. كما تقرر في النتائج أيضا أن الوسطية ليست جزئية في الدين بل هي منهج عدل وصراط مستقيم يشمل مجالات الحياة، وأن الحكم على أمر

بالوسطية والاعتدال يقرره علماء الشرع لا غير. كما أن الوسطية الإسلامية طريق النجاة والسيادة من جديد للأمة الإسلامية إذا أحسنت فهمهما وتطبيقها في الواقع.

Research Summary

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

The term moderation is a feature of Islam and the Muslim Ummah, and the extent of its legitimacy with its presence in the ancient world. Reports of Western research centers formulated and new policy by a group of Muslims and their representation in the Islamic world for Western interests.

In carrying out the legal duty to preserve, communicate and defend religion, I present this modest study on the concept of moderation from its original sources, in order to protect this term from deviation from it to be a servant of secularism and liberalism, and from this standpoint the research came in the introduction, five chapters and conclusion

As for the introduction, it deals with the importance of the topic, the research methodology and its plan. Then, through its chapters, I dealt with the concept of moderation in the language and the Noble Qur'an, the Sunnah of the Prophet, the term Islamic scholars, and Islamic moderation in the Western concept

And it became clear through the tour in the original sources several results, including: that the term mediation is a legal

term and has not been distanced in its meaning from the linguistic meaning, and the interpretation of moderation in what is mentioned in the language and Sharia is rejected in terms of legitimacy and scientific methodology. It was also decided in the results also that moderation is not partial in religion, but rather is a method of justice and straight path that encompasses the areas of life, and that ruling on a matter of moderation and moderation is decided by Islamic scholars only. Also, Islamic moderation is the path of salvation and sovereignty again for the Islamic nation if it is well understood and applied in reality

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد خير خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

تعتبر وسطية الإسلام من أبرز السمات التي تشرق في سائر تشريعاته الحكيمة، ولقد كرم الله تعالى أمة النبي محمد ﷺ حيث وصفها بفضائل الخيرية والعدالة والوسطية في الأمم، وجعل دينهم ومنهجهم وسطا بين الإفراط والتفريط، أو بين الغلو والتقصير

وهذه الوسطية بلا ريب شرف عظيم، ومحل مدح وحمد يسعى لنيله الجميع، فالمتشدد يدعي الوسطية، والمفرط كذلك، بل من العجب في شأن الوسطية والاعتدال أنك تجد مؤسسات غير إسلامية تقدم دراسات عن الإسلام، وتصنع مساواة مفتعلة بين الإسلام "المعتدل" وبين "العلمانية، وتطرح أفكارا ورؤى منحرفة وتصبغها بصبغة الوسطية والاعتدال، ومن ثم وجب الرجوع إلى ميزان ثابت لتحديد مفهوم الوسطية .

وفي هذا الإطار جاء هذا البحث كاشفا اللثام عن مفاهيم الوسطية في اللغة والكتاب والسنة واصطلاح العلماء، ليتبين طريق الصادقين وتستبين سبيل المجرمين.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١- مفهوم الوسطية الحقة غيب عن كثير من الناس، بل أسيء فهمه فصار يدعيها من يكفر كل مخالف له، بل سعى البعض لتأسيس حركات قتالية هي في تصورهم جهادية تسعى لمقاتلة الكفار وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونتج عنها انحراف في التصور وجرائم في السلوك أسهمت بدورها في تشويه الإسلام وأهله في الداخل والخارج.

٢- الوسطية سمة الإسلام الحق، وعلامة الخيرية لهذه الأمة، ومعرفتها ضرورة للإلتزام بها.

٣- الفهم الصحيح للوسطية والتربية عليها يحمي الفرد والمجتمع والدولة من مخاطر التطرف والتشدد وشرور المجون والتسيب.

٤- هناك من يرى الوسطية الحقة تشددا وتطرفا، والوسطية في نظره لا تستوجب الاحتكام إلى نصوص الشرع أصلا، فهو وسط بموازين الهوى. ومن ثم وجب على أهل العلم تصويب المفاهيم.

٥- الإسهام في مواجهة الحرب الفكرية، ورد المفاهيم الشاذة المغلفة بزخارف القول والتي تهدف إلى تفريغ الأحكام الشرعية من حقيقتها و مقاصدها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إجمالا إلى :

١- إبراز المدلول اللغوي والشرعي والاصطلاحي لمفهوم الوسطية من المصادر الأصيلة.

٢- تيسير التعرف علي الوسطية الإسلامية وفهمها بغية تطبيقها والالتزام بها على أسس علمية شرعية.

٣- كشف الوسطيات المزيفة التي تعرض على الأمة من الداخل والخارج.

منهج البحث وعمل الباحث:

المنهج الغالب هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع النصوص الشرعية وأقوال العلماء والباحثين ودراستها وتحليلها.

ومن عمل الباحث كذلك عزو الآيات الواردة في البحث إلى سورها.

وتخريج الأحاديث النبوية، وعزو الآثار والأقوال إلى مصادرها من الكتب والمراجع، والتراجم لبعض الأعلام طلبا للاختصار.

خطة البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

أما المقدمة فتتناول أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته.

الفصل الأول: مفهوم الوسطية في اللغة

الفصل الثاني: مفهوم الوسطية في القرآن الكريم

الفصل الثالث: مفهوم الوسطية في السنة

الفصل الرابع : مفهوم الوسطية في الاصطلاح

الفصل الخامس: الاعتدال الإسلامي في المفهوم الغربي

الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات والفهارس .

وأسأل الله تعالى التوفيق للصواب، وأن يغفر لي الخطأ والزلل، وأن يكتب لهذا البحث النفع والقبول.

الفصل الأول: مفهوم الوسطية في اللغة

الوسطية مصدر صناعي للاسم المشتق (الوسط)، وكما هو معلوم في اللغة العربية أن إضافة الياء المشددة وتاء التأنيث للاسم تعطي له مجموعة صفات خاصة باللفظ، فعند قولنا مثلا : إنسان، فإنه يقصد به ذلك الآدمي الذي يعقل ويفكر، فإذا قلنا: إنسانية، فسيكون المقصود هنا تلك الصفات الموجودة في الإنسان من خير ورحمة ..إلخ

وعلى هذا فالوسطية تدل على صفات موجودة في لفظ (الوسط) وتضيف أيضا معنى التوكيد والمبالغة والتمكن لتلك الصفات. و بناء على هذا فالأمر يقتضي البحث فيما كتبه أئمة اللغة عن مفهوم الوسط.وأنقل هنا بعضا مما قالوه لتجلية المفهوم.

١- وسط – بفتح السين– بمعني عدل، قال ابن فارس[١]: وسط:[بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ.وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ.] [٢].قال الجوهري [٣] :[والوسط من كل شئ: أعدَلُهُ.] [٤]

(١) هو العلامة اللغوي المحدث أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي ولد بقزوين، وأقام بالري ودفن بها عام خمس وتسعين وثلاثة مائة: انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨) .

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي إمام العربية كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة، واعترى الجوهري وسوسة فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، فصعد إلى سطحه، وزعم أنه يطير، فوقع فمات، وقد كانت وفاته سنة (٩٨هـ). انظر: ياقوت معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٢/ ٦٥٦).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة (وسط) (٣/ ١١٦٧) .

٢- وتأتي- بالفتح أيضًا-صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، قال ابن منظور [١]:[واعلم أن الوسط قد يأتي صفة ، وإن كان أصله أن يكون اسما من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه ، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب..ومنه قوله تعالى :﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ [٢]أي على شك فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن ، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة ، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس:﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[٣] أي عدلا ، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه] [٤] .ويقول صاحب المختار:[وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها،] [٥]

٣- وتأتي - وسَط بالفتح - اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه، جاء في لسان العرب.. [اعْلَمْ أَنّ الوسَط، بِالتَّحْرِيكِ، اسْمٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيِ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ كَقَوْلِكَ قَبَضْت وسَط الحبْل وَكَسَرْتُ وسَط الرُّمْحِ وَجَلَسْتُ وسَط الدَّارِ،][٦]

٤-(وسْط) بسكون السّين تكون ظرفًا بمعنى (بين)، قال ابن منظور : [وأمَّا الوسْط بسكون السّين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلست وسْط القوم، أي: بينهم. وقال أيضا: وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط ، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط ، بالتحريك ،][٧]

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري ولد سنة ٦٣٠ هـ وتوفى ٧١١هـ. انظر ترجمته في مقدمة لسان العرب.

(٢) سورة الحج من الآية(١١).

(٣) سورة البقرة من الآية(١٤٣).

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة(وسط) (٧/ ٤٢٧،٤٢٨) .

(٥) مختار الصحاح للرازي ،(وسط)(٣٣٨) .

(٦) لسان العرب لابن منظور مادة(وسط) (٧/ ٤٢٦).

(٧) لسان العرب لابن منظور مادة(وسط) (٧/ ٤٢٨).

٥-وتأتي (وسط) بالفتح - أيضًا - للشيء بين الجيد والرديء. قال الجوهري:[ويقال : شئ وسط، أي بين الجيد والردئ.] [١]. ودليل ماذهب إليه الجوهري ما ورد في الحديث: «وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ " » [٢]

٦-ويقال: (وسط) لما له طرفان مذمومان، يراد به ما كان بينهما سالمًا من الذّمّ، وهو الغالب. قال الراغب: [والوَسَطُ تارة يقال فيما له طرفان مذمومان...كالجود الذي هو بين البخل والسّرف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتّفريط، فيمدح به نحو السّواء والعدل والنّصفة..] [٣] ، قال ابن الأثير:[كُلُّ خَصْلَة مَحْمُودَة فَلَها طَرَفَان مَذْمُومان، فإنَّ السَّخاءَ وَسَطٌ بَيْن البُخْل والتَّبْذير، والشَّجاعَة وَسَطٌ بَيْن الجُبن والتَّهَوُّر، والإنسانُ مأمورٌ أنْ يَتَجَنَّبَ كُلَّ وَصْفٍ مَذْموم، وَتَجَنُّبُه بالتَّعَرّي مِنْهُ والبُعدِ عَنْه، فكُلَّما ازْدَادَ مِنه بُعْداً ازْدادَ مِنْهُ تَعَرّياً.

وأبْعَدُ الجِهات والمَقادِير والمَعانِي مِنْ كُلّ طَرَفَيْن وَسَطُهُما، وهُو غَايَةُ البُعْد عَنْهُمَا، فَإِذَا كَانَ فِي الوَسطَ فَقَد بَعُد عَن الأطْراف المَذْمومةِ بَقَدْر الإمْكان.] [٤]

ويجمل لنا صاحب التحرير والتنوير شرف كلمة وسط فيقول :[وَالْوَسَطُ اسْمٌ لِلْمَكَانِ الْوَاقِعِ بَيْنَ أَمْكِنَةٍ تُحِيطُ بِهِ أَوْ لِلشَّيْءِ الْوَاقِعِ بَيْنَ أَشْيَاءَ مُحِيطَةٍ بِهِ لَيْسَ هُوَ إِلَى بَعْضِهَا أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى بَعْضٍ عُرْفًا وَلَمَّا كَانَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ اخْتِرَاقِ مَا يُحِيطُ بِهِ أَخَذَ فِيهِ مَعْنَى الصِّيَانَةِ وَالْعِزَّةِ طَبْعًا كَوَسَطِ الْوَادِي لَا

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (وسط)(٣/ ١١٦٧).

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط ، كتاب الزكاة :باب في زكاة السائمة (٣/ ٣٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) (ص: ٨٦٩) تحقيق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، ط، أولى – ١٤١٢ هـ.

(٤)النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٥/ ١٨٤) ،المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

تَصِلُ إِلَيْهِ الرُّعَاةُ وَالدَّوَابُّ إِلَّا بَعْدَ أَكْلِ مَا فِي الْجَوَانِبِ فَيَبْقَى كَثِيرُ الْعُشْبِ وَالْكَلَأِ، وَوَضْعًا كَوَسَطِ الْمَمْلَكَةِ يُجْعَلُ مَحَلَّ قَاعِدَتِهَا وَوَسَطُ الْمَدِينَةِ يُجْعَلُ مَوْضِعَ قَصَبَتِهَا لِأَنَّ الْمَكَانَ الْوَسَطَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْعَدُوَّ بِسُهُولَةٍ، وَكَوَاسِطَةِ الْعِقْدِ لِأَنْفَسِ لُؤْلُؤَةٍ فِيهِ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَارَ مَعْنَى النَّفَاسَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْخِيَارِ مِنْ لَوَازِمِ مَعْنَى الْوَسَطِ عُرْفًا فَأَطْلَقُوهُ عَلَى الْخِيَارِ النَّفِيسِ كِنَايَةً] (١)

تبين مما سبق

أن كلمة وسط في اللغة لها عدة معاني، وهي في الأصل اسْمٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيِ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ، وتستعمل صفة مجازا لما يستلزمه هذه الاسم من معانى شريفة كالعدل ، والخيار والأجود، والشرف والمكانة العلية الرفيعة ، والنصف ،والمعتدل من كل شيئ، وما كان محمودا بين طرفين مذمومين، وتكون أيضا ظرفية فتفيد البينيَّة، كما تفيد التوسط بين الطرفين أو الشيئين.أو ماله طرفان متساويا القدر.

فالوسطية مصدر صناعي، يدل على التَّمكن في الوسط، والتمكن كذلك من صفات الخيرية والعدل والشرف.

□

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٧) ، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤.

الفصل الثاني: مفهوم الوسطية في القرآن الكريم

وردت كلمة وسط في القرآن الكريم بتصاريف متنوعة في خمسة مواطن هي : (وَسَطاً) [١] و (الْوُسْطَى) [٢] و (أَوْسَطِ) [٣] و (أَوْسَطُهُمْ) [٤] و (فَوَسَطْنَ) [٥]

أولا: الوسط في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ..﴾ [٦]

لقد وصفت هذه الآية الكريمة الأمة الإسلامية بالوسطية، وتقاربت أقوال المفسرين في تحديد المراد بكلمة وسطا هنا وأعرض نموذجا منها على النحو التالي:

(١) يقول الإمام الطبري وأما"الوسَط"، فإنه في كلام العرب الخيارُ... .قال زُهير بن أبي سُلمى في"الوسط": هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ ... إذَا نزلَتْ إحْدَى الليَالِي بِمُعْظَمِ [٧]

ثم يتابع فيقول: وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع، هو"الوسط" الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل"وسَط الدار" .....

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه

---

(١) البقرة: من الآية١٤٣.
(٢) البقرة: من الآية٢٣٨.
(٣) المائدة: من الآية٨٩.
(٤) القلم: من الآية٢٨.
(٥) العاديات: من الآية٥.
(٦) البقرة: من الآية١٤٣)

(٧) البيت بهذه الرواية أنشده الجاحظ في البيان ٣: ٢٢٥ غير منسوب لزهير. بلفظ
هم وسط يرضى الإله بحكمهم ... إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم، انظر:(البيان والتبيين) (٣/ ١٥٣).

– ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها...وأما التأويل، فإنه جاء بأن"الوسط" العدلُ. وذلك معنى الخيار، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم. ..] [١]

إذن الوسط عند الطبري له ثلاث تأويلات : الخيار أي الرفيع، والعدل لأنه وسط بين الزيادة والنقصان، والجزء الذي بين طرفين والمراد هنا التوسط في الأمور فلا غلو ولا تقصير.

(٢) وقال ابن قتيبة [٢]جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً أي عدلا خيارا [٣]

(٣) وقال الزجاج[٤] : وفي (أُمَّةً وَسَطًا) قولان، قال بعضهم وسطا: عدلًا، وقال بعضهم:أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل. [٥]

(٤) وقال الزمخشري: [٦]

جعلناكم أُمَّةً وَسَطاً خيارا، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء. .. وقيل: للخيار: وسط لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل.. والأوساط محمية محوّطة.

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٣/ ١٤١-١٤٥)

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب " المعارف " و " أدب الكاتب " (المتوفى: ٢٧٦هـ) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٢)

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة تحقيق،سعيد اللحام (ص: ٦٢)

(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) انظر: وفيات الأعيان(١/٤٩،٥٠)

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢١٩)

(٦) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، (المتوفى: ٥٣٨هـ) وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨)

..أو عدولا، لأنّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض] (١)

(٥) وبهذا قال الإمام النسفي(٢) في تفسيره، ووجه المعنى فقال: {أُمَّةً وَسَطًا} خياراً .. أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولاً .. أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطاً بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلو غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا] (٣)

(٦) ويقول ابن كثير(٤):[.. لَنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَداء عَلَى الْأُمَمِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ. وَالْوَسَطُ هَاهُنَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ، ....، وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا خَصَّها بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ..

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(٥):.حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ – أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ – قَالَ: فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٨،١٩٩) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

(٢) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، كَانَ إِمَامًا فِي جَمِيع الْعُلُوم ومصنفاته فِي الْفِقْه وَالْأُصُول أَكثر من أَن تحصى وصنف المدارك فِي التَّفْسِير، توفّي فِي بَلْدَة بَغْدَاد (٧١٠هـ) ،انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٢٦٣) .

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٣٧).

(٤) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي الإمام الحافظ المؤرخ والفقيه ، والمحدث والمفسر، صاحب تفسير القرآن العظيم، ولد عام ٧٠١ هـ، توفى عام ٧٧٤هـ، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١١١ – ١١٣).

(٥) انظر: مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ٣٨٣) حديث رقم ١١٢٨٣.

لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قَالَ: الْوَسَطُ الْعَدْلُ، قَالَ: فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ[1]] [2]

(٧) ويقول أبو السعود[3]–رحمه الله تعالى:

[والوسَطُ في الأصل اسمٌ لما يستوي نِسبةُ الجوانبِ إليه كمركز الدائرة ثم استُعير للخصال المحمودةِ البشرية، لكن لا لأن الأطرافَ يتسارع إليها الخللُ .. والأوساطُ محميّةٌ مَحوطَةٌ كما قيل [4]..

فإن تلك العلاقةَ بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملابَسةَ بينها وبين أهليةِ الشهادة التي جُعلت غايةً للجعل المذكور بل لكون تلك الخصالِ أوساطاً للخصال الذميمةِ المكتنفة بها من طرفي الإفراطِ والتفريطِ كالعِفة التي طرفاها الفجورُ والخمودُ وكالشجاعة التي طرفاها الظهور والجُبن ..] ثم يشير –رحمه الله تعالى إلى نكتة لطيفة فيقول:.. وقد رُوعيت ههنا نُكتةٌ رائقةٌ هي أن الجعلَ المشارَ إليه عبارةٌ عما تقدم ذكرُه من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبَّر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريقُ السويُ الواقعُ في وسط الطرُق الجائرةِ عن القصد الى الجوانب فإنا إذا فرضنا خطوطاً كثيرةً واصلةً بين نُقطتين متقابلتين فالخطُ المستقيم إنما هو الخطُ الواقعُ في وسط تلك الخطوطِ المنحنية ومن ضرورة كونِه وسطاً بين الطرُق الجائرةِ كونُ الأمةِ المَهْديّة إليه أمةً وسطاً بين

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٤٤٨٧، ٣٣٣٩) (٥ / ١٥١) . سنن الترمذي برقم (٢٩٦١) (٥ / ١٩٠) رسنن ابن ماجه رقم (٤٢٨٤) (٢ / ١٤٣٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٤٥٤، ٤٥٥) باختصار.

(٣) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، صنف إرشاد الْعقل السَّلِيم إِلَى مزايا الْقُرْآن الْعَظِيم فِي التَّفْسِير وَكَانَ تَفْسِيره من أَمْثَال الْكَشَّاف والبيضاوي من أكمل التفاسير (المتوفى: ٩٨٢هـ) انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (١/ ٣٩٨).

(٤) انظر ما قاله الزمخشري في الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٨) مصدر سابق.

الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفةً بالخصال الحميدةِ خياراً وعدُولاً مُزَكَّيْنَ بالعلم والعمل] [١]

(٨) ولقد جمع صاحب الظلال جل معاني الوسطية مبينا استحقاق هذه الأمة لهذا التكريم الإلهي فقال: – رحمه الله–في تفسيره لهذه الآية: [وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو الوسط بمعناه المادي والحسي، أمة وسطا في التصور والاعتقاد، أمة وسطا في التفكير والشعور، أمة وسطا في التنظيم والتنسيق، أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطا في الزمان، أمة وسطا في المكان] [٢]

ثانيا: معنى (الْوُسْطَى) (٣)

١- يقول القرطبي

[وَالْوُسْطَى تَأْنِيثُ الْأَوْسَطِ. وَوَسَطُ الشَّيْءِ خَيْرُهُ وَأَعْدَلُهُ،...وَوَسَطَ فُلَانٌ الْقَوْمَ يَسِطهُمْ أَيْ صَارَ فِي وَسَطِهِمْ. وَأَفْرَدَ الصَّلَاةَ الْوُسْطَى بِالذِّكْرِ وَقَدْ دَخَلَتْ قَبْلُ فِي عُمُومِ الصَّلَوَاتِ تَشْرِيفًا لَهَا... وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَعْيِينِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى عَلَى عَشَرَةِ أَقْوَالٍ: ..] [٤]

٢- ويقول الطبري :[والوسطى""الفعلى" من قول القائل:"وسطت القوم أسطهم سطة ووسوطا"، إذا دخلت وسطهم..][٥] . فالوسطية هنا تعني البينية

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٧٢) باختصار، ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) في ظلال القرآن (١/١٣١،١٣٢)باختصار.

(٣) (البقرة: من الآية٢٣٨)

(٤) القرطبي (٣/ ٢٠٩) باختصار.

(٥) الطبري (٥/ ٢٢٧).

،لهذا رجح الطبري –رحمه الله– أن المراد بهذا الوصف صلاة العصر قائلا:[والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها قبل في تأويله: وهو أنها العصر.] (١) إلى أن يقول:.[وإنما قيل لها"الوسطى" لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس، وذلك أن قبلها صلاتين، وبعدها صلاتين، وهي بين ذلك وسطاهن.] (٢) إلا أن القرطبي يرى أنها غير معينة [لِتَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَعَدَمِ التَّرْجِيحِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُحَافَظَةُ عَلَى جَمِيعِهَا وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا،](٣)وَاللَّهُ أَعْلَم.

٣– وجاء في تفسير الماتريدي = :

[في قوله: (وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى): تكلم فيه بوجهين: أحدهما؛ أن الصلاة هي الوسطى، من أمر الدِّين فهي على أن الأرفع من أمر الدِّين هو التوحيد والإيمان وذلك هو الذي لا يرتفع بعذر، ولا يسقط بسقوط المحنة، ...، ثم الصلاة .. فهي تشبه الإيمان من وجه..، ثم تسقط للأعذار، ولا تجب في غير دار المحنة ..؛ فصارت بذلك الوسطى من أمر الدِّين. والله الموفق.

والثاني: أن تكون هي صلاة من جملتها، فتذكر بحرف التخصيص لها من الجملة، لوجهين:

أحدهما: لبيان جملة الفرائض أنها وتر، لا الشفع؛ إذ لا وسطى للشفع، ...

والثاني: أن يراد بذلك التفضيل للصلاة من الصلوات في الحث على فعلها والترغيب في محافظتها، ويجيء أن تكون تلك معروفة عند الذين خوطبوا،

(١) الطبري (٥/٢٢١).

(٢) تفسير الطبري = (٥/ ٢٢٧).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢١٣)

إما بالاسم أو بحال من النوازل؛ لأنه لا يحتمل أن يرغب في فعل لا يعلم حقيقة ذلك. والله أعلم.

ثم يكون لاختلاف من لم يشهد النوازل التي عرفت المراد، فقال كل مبلغ جهده فيما أدى إليه رأيه من الترغيب في الفعل أنه على ذلك...] [1]

نلاحظ هنا إضافة معنى آخر للبينية وهو التوسط بين شعب الدين ،فليست أعلى شعبه ولا أدناها.

كما يحتمل أن يكون الوسطى إحدى الصلوات الخمس ، والوسطى قد تكون بمعنى

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٢/ ٢١١) باختصار وتصرف يسير.

ثالثا: معنى (أَوْسَطِ) (١)

١- يقول ابن كثير :[وَقَوْلُهُ: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ: أَيْ مِنْ أَعْدَلِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.وَقَالَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: مِنْ أَمْثَلِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.... وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} أَيْ: فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ...][٢]

٢- ويقول الزجاج : [ومعنى (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ).قال بعضهم أعدله كما قال جلَّ وعزَّ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي عَدْلاً، و (أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) على ضربين أحدهما أوسطه في القدر والقيمة، والآخر أوسَطه في الشبع لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصدِ وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع.] [٣]

٣- ويقول الماوردي:[قوله تعالى: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} فيه قولان: أحدهما: من أوسط أجناس الطعام .... والثاني: من أَوسطه في القدر , ...وقرأ سعيد بن جبير {مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلَيكُمْ}][٤]

مما سبق يتبين أن من معاني أوسط عند المفسرين، الأمثل والأفضل، أو ما كان متوسطا في جنس الطعام، أو متوسطا في مقداره أو قيمته، فهذا المشتق من الوسطية فيه معنى الفضل والبينية أيضا.

رابعا معنى (أَوْسَطُهُمْ) (٥)

---

(١) – (المائدة: من الآية٨٩)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/١٧٣، ١٧٤)باختصار كبير.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٢)، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ).

(٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٦١).وانظر:أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١١٨) .

(٥) – القلم: من الآية(٢٨).

١- يقول القرطبي:(قالَ أَوْسَطُهُمْ) أَيْ أَمْثَلُهُمْ وَأَعْدَلُهُمْ وَأَعْقَلُهُمْ.] [١]

٢- ويقول ابن كثير: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَالزَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وقَتَادَةُ: أَيْ: أَعْدَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ:] [٢]

٣- ويقول البغوي في تفسيره: [(قالَ أَوْسَطُهُمْ) أَيْ: خَيْرُهُمْ وَأَعْدَلُهُمْ، وَخَيْرُ الْأَشْيَاءِ أَوْسَطُهَا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي أَهْلَ دِينٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ لِأَنَّهُمَا مذمومان في الدين] [٣]

خامسا: معنى (فَوَسَطْنَ) [٤]

١- يقول الماوردي:[{فَوَسَطْنَ به جَمْعاً} فيه قولان: أحدهما: جمع العدو حين يلتقي الزحف , قاله ابن عباس والحسن. الثاني: أنها مزدلفة تسمى جمعاً لاجتماع الحاج لها وإثارة النقع في الدفع إلى منى , قاله مكحول] [٥]

٢- ويقول البغوي:[فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ، أَيْ دَخَلْنَ بِهِ وَسَطَ جَمْعِ الْعَدُوِّ] [٦]

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٤) .

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ١٩٦) وبهذا قال جمهرة المفسرين كالرازي(٣٠/ ٦٠٩) وأبو السعود: (٩/ ١٦) والماتريدي: (١٠/ ١٤٨) ،والبغوي: (١/ ١٥٨) .

(٣) تفسير البغوي ، (١/ ١٧٤) ،ط: إحياء التراث.

(٤) (العاديات: من الآية:٥).

(٥) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٦/ ٣٢٥) بتصرف يسير .وانظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٨١)

(٦) تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/ ٢٩٦).وانظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٧١)

٣- ويقول ابن كثير :[{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} أَيْ: تَوَسَّطْنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ كُلُّهن جُمَعَ.] (١)

٤-ويقول صاحب التحرير والتنوير :[وَمَعْنَى: «وَسَطْنَ» : كُنَّ وَسْطَ الْجَمْعِ، يُقَالُ: وَسَطَ الْقَوْمَ، إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ... أَيْ صِرْنَ فِي وسط الْقَوْم المغزوون](٢)

يتبين مما سبق من أقوال المفسرين أن الوسطية هنا تعني: توسط الخيل أو رواحل الحجيج براكبهن الجموع، وهذا يعني التوسط المكاني .

إذن الوسطية بتصاريفها الواردة في القرآن الكريم، تعني في جمهرة أقوال المفسرين : أنها مفهوم جامع لمعاني العدل والخير والفضل والاعتدال والاستقامة، والاعتدال والتوازن بين الأطراف المتقابلة مع إعطاء كل طرف حقه...كما تعني التوسط الزماني والمكاني.

وأمة وسطا تعني: عند جمهرة المفسرين أيضا، خيارا عدولا، وهي صفة مستعارة من الاسم، الذي يعني جزءا بين طرفين في عالم المادة .

ووصف الأمة بالوسطية يعني وصفها بكل هذه الفضائل والخصال الحميدة، ومنبع هذه الفضائل هو استقامتها على المنهج الذي جعله الله تعالى لهذه الأمة وهداها إليه، وهذا المنهج يقوم على العدل والخير والتوازن، والاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط ، فهناك تلازم بين وسطية الأمة ووسطية المنهج ،الهادي للزمان والمكان والإنسان. فإذا انحرفت عن هذا المنهج الرباني، فقدت فضائلها وخيرتها، ومن ثم لم تعد مؤهلة للشهادة على البشرية ،وقد أيد ذلك التاريخ الشاهد، والواقع الماثل.

---

(١) تفسير ابن كثير ، (٨/ ٤٦٥)، وانظر : تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٩/ ٥٢٩)

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠١)

والمنهج الذي هدى الله تعالى الأمة إليه يوصف أيضا بالوسطي، بيد أن الآية هنا في سياق المدح للأمة لا في سياق وصف المنهج، ومما لاشك فيه أن المنهج أيضا كله عدل وخير واعتدال، لكن أدلة ذلك كثيرة جدا في مواطن أخرى غير هذه الآية الكريمة التي سيقت في وصف الأمة لا وصف المنهج.

* * * * * * * *

الفصل الثالث: مفهوم الوسطية في السنة

ورد في بعض الأحاديث لفظ الوسط بمعانى متعددة، ومن ذلك مايلي:

أولا: الأوسط بمعنى الأعلى والأفضل والأعدل، كما ورد في حديث وصف الفردوس.

ففي البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ...«... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ ..] (١) يقول ابن حجر في الفتح: [قَوْلُهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ الْمُرَادُ بِالْأَوْسَطِ هُنَا الْأَعْدَلُ وَالْأَفْضَلُ كَقَوْلِه تَعَالَى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وسطا فَعَلَى هَذَا فَعَطَفَ الْأَعْلَى عَلَيْهِ لِلتَّأْكِيدِ وَقَالَ الطِّيبِيّ المُرَاد بِأَحَدِهِمَا الْعُلُوّ الْحسي وبالآخر الْعُلُوّ الْمَعْنَوِيّ وَقَالَ بن حِبَّانَ الْمُرَادُ بِالْأَوْسَطِ السَّعَةُ وَبِالْأَعْلَى الْفَوْقِيَّةُ] (٢)

ثانيا: الوسط بمعنى الشيئ بين الأجود والردئ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ، مِنْ غَاضِرَةِ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ، وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ، وَلَا الدَّرِنَةَ ، وَلَا الْمَرِيضَةَ، وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ "](٣)

ثالثا: ما كان بين ربض الجنة وأعلى الجنة وكلاهما ممدوحان.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦)،رقم (٢٧٩٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣)

(٣) سنن أبي داود (٢/ ١٠٣،١٠٤) .

[عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»] (١)

رابعا: الشيئ بين الشيئين

[عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}(٢)..](٣)

خامسا: المنتصف أو المتوسط بين الأشياء.

[عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ»](٤)

[وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسِّطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ»] (٥)

---

(١) سنن أبي داود ، برقم ٤٨٠٠(٤/ ٢٥٣)، في ربض الجنة" بفتحتين أي حوالي الجنة وأطرافها لا في وسطها، وليس المراد خارجًا عن الجنة،انظر: فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٥٣٢) .

(٢) الأنعام: ١٥٣ .

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٨).

(٤) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢٦٠).

(٥)أخرجه أبو داود برقم(٦٨١)، (١/ ١٨٢) واللفظ له،ت:محمد محيي الدين عبد الحميد، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٥٧) بنحوه مطولاً، والبيهقي (٥٤٠٨) باختلاف يسير، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ١٠٦ ، لكن الشطر الثاني منه صحيح.انظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص: ٢٨٤).

أي اجعلوه في وسط الصف.

سادسا: ما كان بين شيئين حسا

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ» (١)

قال أبو حاتم: لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ «لَفْظَةُ إِخْبَارٍ مُرَادُهَا الزَّجْرُ عَنْ شَيْءٍ مُضْمَرٍ فِيهِ، وَهُوَ مُمَاسَّةُ النِّسَاءِ الرِّجَالَ فِي الْمَشْيِ، إِذْ وَسَطُ الطَّرِيقِ الْغَالِبُ عَلَى الرِّجَالِ سُلُوكُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَتَخَلَّلْنَ الْجَوَانِبَ حَذَرَ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْ مُمَاسَّتِهِمْ إِيَّاهُنَّ»(٢)

- وعَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ. (٣)

قال الخطابي:[هذا محمول على من يأتي الحلقة فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس فلعن للأذى، ويحتمل أن اللعن؛ لأنه يصير حائلًا بين الوجوه وحاجبًا للبعض عن البعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك] (٤)

يلاحظ مما سبق أن المعاني الواردة في السنة لم تبعد عن المعاني اللغوية أو القرآنية.

---

(١) صحيح ابن حبان – مخرجا (١٢/ ٤١٦) المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.

(٢) صحيح ابن حبان – مخرجا (١٢/ ٤١٧) .

(٣) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٥٤٣).

(٤) المصدر السابق.

وأن الوسط في السنة لاينحصر فيما كان بين شيئين فقط، بل يأتي أيضا بمعنى الأفضل والأعدل ،

والوسط كذلك غير الوسطية المحمودة التي تعني الخير والفضل، فالوسط قد يأتي مذموما –أحيانا–في عالم المادة كما في النهي عن الأكل من وسط الطعام، أو الجلوس في وسط الحلقة، أو السير في وسط الطريق للنساء، وكذلك في عالم القيم والمواقف، ألا ترى أن الوسط يكون مذموما في شأن من اتخذ موقفا وسطا بين ظالم ومظلوم، أو حق وباطل؟؟

ولهذا كانت وسطية المنافقين مذمومة لأنها وسطية بين مذموم ومحمود، كما في قوله تعالى:

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا ﴾ (١)

فهم لا مع المؤمنين ولا مع المشركين، والمؤمنون ليسوا سيئين حتى يتخذ منهم موقفا وسطا، والوسطية المحمودة هي الحسنة بين سيئتين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢) فالوسطية هنا بين سيئتين: الإسراف والإقتار، لهذا كانت وسطية محمودة، وكذلك الوسطية بين متقابلين مع إعطاء كل ذي حق حقه وفق الشرع، كالتوازن في الجمع بين الدنيا والآخرة، الجسد والروح، فهي وسطية ممدوحة كذلك لأنها تعني العدل، والعدل كله خير دائما. فالوسطية إذن تأتي بمعنى: العدل، والخيار، والأجود، والأفضل، وما بين الجيد والرديء، وبمعنى التوسط بين شيئين، وبمعنى المعتدل، وبمعنى الحسب والشرف كذلك.

---

(١) النساء:١٤٣ .

(٢) الفرقان :٦٧.

* * * * * * * * *

الفصل الرابع :

مفهوم الوسطية في الاصطلاح

تناول العلماء قديما وحديثا موضوع الوسطية نظرا لأهميتها، وإن كان تناول العلماء القدامى لها بلفظ مرادف أو متقارب معها في المعنى، كالعدل، والقصد، والاعتدال ونحو ذلك، و نقتطف من أقوالهم ما يدل على مفهوم الوسطية .

١-يقول الإمام الشافعي:[والعدل أن يعمل بطاعة الله] (١)

٢-ويقول ابن حزم رحمه الله:[التَّوَسُّط الَّذِي هُوَ الِاعْتِدَال بَين الطَّرفَيْنِ المذمومين] (٢)

٣-ويقول ابن تيمية :[والاعتدال في كل شيئ استعمال الآثار على وجهها...فمتابعة الآثار فيهاالاعتدال والإتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور] (٣)

٤-ويقول ابن القيم عن الاعتدال:[..الدين المستقيم وسط بين انحرافين، وكذلك السنة وسط بين بدعتين،وكذلك الصواب في مسائل النزاع إذا شئت أن تحظى به فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعدين] (٤)

٥-و يقول الشاطبي:[الشَّرِيعَةُ جَارِيَةٌ فِي التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسَطِ الْأَعْدَلِ، الْآخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ بِقِسْطٍ لَا مَيْلَ فِيهِ، الدَّاخِلِ تَحْتَ كَسْبِ الْعَبْدِ مِنْ

(١) الرسالة: للإمام الشافعي،٢١/١، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي،ط١٣٥٨،١هـ.

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، صـ ٧٤.

(٣) القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية ،٤٦/١،تحقيق د.أحمد بن محمد الجليل،دار ابن الجوزي،السعودية،،ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين،لابن قيم الجوزية(ت:٧٥٢) ص٢٢٠ بتصرف يسير.

غَيْرِ مَشَقَّةٍ عَلَيْهِ وَلَا انْحِلَالٍ، بَلْ هُوَ تَكْلِيفٌ جارٍ عَلَى مُوَازَنَةٍ تَقْتَضِي فِي جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ غَايَةَ الِاعْتِدَالِ] (١)

ويبين الشاطبي مفهوم الوسطية في الفتوى فيقول :[الْمُفْتِي الْبَالِغُ ذُرْوَةِ الدَّرَجَةِ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْمَعْهُودِ الْوَسَطِ فِيمَا يَلِيقُ بِالْجُمْهُورِ؛ فَلَا يَذْهَبُ بِهِمْ مَذْهَبَ الشِّدَّةِ، وَلَا يَمِيلُ بِهِمْ إِلَى طَرَفِ الِانْحِلَالِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا أَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ مَرَّ أَنَّ مَقْصِدَ الشَّارِعِ مِنَ الْمُكَلَّفِ الْحَمْلُ عَلَى التَّوَسُّطِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، فَإِذَا خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَفْتِينَ؛ خَرَجَ عَنْ قَصْدِ الشَّارِعِ، وَلِذَلِكَ كَانَ مَا خَرَجَ عَنِ الْمَذْهَبِ الْوَسَطِ مَذْمُومًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ٣] (٢)

نلاحظ من التعاريف السابقة أن الوسطية هي الدين ،والعمل بطاعة ،ومتابعة الآثار،والموازنة والاعتدال،والصراط المستقيم،كما أن الصواب في مسائل الخلاف من علاماته الدالة عليه–كما أشار ابن القيم– أنه وسط بين الطرفين المتباعدين ، فالوسطية إذن وصف للدين وهي الصواب في كل أمر.

ويضيف العلماء والباحثون المعاصرون تعريفات للوسطية اقتطف منها ما يلي:

٦–يقول د.فريد عبد القادر:[هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم..] (٣)

ويقول في موضع آخر:[ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان ،فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم،](٤)

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٧٩)مطبعة ،دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٢) الموافقات (٥/ ٢٧٦).

(٣) الوسطية في الإسلام ،د.فريد عبد القادر، ص٢٩ مخطوط.

(٤) المصدر السابق ص٣٣.

فكل خير وعدل يعتبر وسطية وإن لم يكن بين طرفين متباعدين ، إلا أن د.ناصر العمر يرى أن هذا التعريف فيه نظر لأن ما ورد في القرآن الكريم والسنة وكلام العرب لا تطلق هذا المصطلح (الوسطية) إلا إذا توافرت فيه الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل ، والبينية سواء أكانت حسية أو معنوية.

ولهذا عرفها د.ناصر العمر بالتعريف التالي:

٧- [الوسطية هي كل أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا.. فلابد من الخيرية مع البينية حتى تكون وسطا،..وكذلك البينية أيضا، فليس كل شيئ بين شيئين أو أشياء يعتبر وسطيا وإن كان وسطا،.كوسط الزمان...فكل أمر يوصف بالوسطية فلابد أن يكون بينيا حسا أو معنى..] (١)

٨- ويقول د.يوسف القرضاوي:[التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل أو بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه..] (٢)

٩- ويعرفها د. محمد ويلالي، فيقول:[الوسطية سلوك محمود - مادي أو معنوي - يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالبًا - أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي] (٣)

هكذا تعددت تعريفات مفهوم الوسطية، ومرد ذلك للزاوية التي ينظر إليها منها، وبالتالي فهي تعاريف تكاملية ولا تناقض بينها،

فتعريف د/ فريد عبد القادر مثلا ينظر الى الوسطية من منظور جماعي للأمة، أما التعريف الأخير للدكتور محمد ويلالي فينظر إليها من زاوية السلوك الفردي،

---

(١) الوسطية في ضوء القرآن،د.ناصر العمر،ص٢٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام ،ص١٢٧،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.

(٣) الوسطية مفهومًا ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة.

وعلى كل فالوسطية تقوم على رفض الوقوف إلى أحد الطرفين المتقابلين بل تجمع بينهما، ومن خلال التعاريف السابقة يمكنني أن أجمع بينها فأقول :

هي صفة لخصال محمودة مدحت بها الأمة المسلمة، وتوازن في المنهج الذي جعله الله لها ليحقق التوسط والاعتدال في كل أمور الحياة، ويؤهلها للشهادة على الإنسانية .

وهذا تعريف يتسق مع اللغة والشرع ، ويجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة.

ومن خلال ما مر من دراسة حول مفهوم الوسطية يمكني أن أقرر ما يلي:

– الوسطية جعلت الأمة عليها، ومن ثم لا يجوز للأمة أن تبحث عن الوسطية في غير ما وضعه الله تعالى لها.فالذي يحدد الوسطية هو الله تعالى.

– وهذا المنهج الإلهي لا ينحاز لطرف ضد طرف، بل يعدل بين الأطراف المتقابلة بلا غلو ولا تقصير.

– وهذا المنهج يؤهل الأمة لأن تشهد على الإنسانية قديما وحديثا، قديما لأنها آخر الأمم ،والأخير قد تميز بإحاطته بأخبار من سبقه، وأدرك كذلك جميع الأحوال من شدة وتيسير، وما ضلت به الأمم من قبل ، وتكون وسطا كذلك من جهة العقيدة والشريعة والأدلة، بخلاف من كان في منتصف الأنبياء فلا يعلم أحوال من جاء بعده.

– وهذه الوسطية تؤهل الأمة كذلك لأن تشهد على الناس حديثا، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم ، وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد ، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول:هذا حق منها وهذا باطل، تأسيسا على ما معها من وحي معصوم.

– وهذه الوسطية القائمة على منهج الله تعالى لا تجمد على النص ولا تعطل العقل، بل تعمل النص ،وتحترم العقل الذي يتدبر في آيات الله الشرعية والكونية ، ولا تعارض بين العقل الصريح والنص الصحيح ،فكلاهما نور على نور، ومن ثم فالعقل أداة الاجتهاد، وبه يتسع نطاق الشريعة، ويتناول من الوقائع المستجدة مالا يتناهى من القضايا ،ومن هنا يتبين أن العقل أحد السبل في إدراك الوسطية.

– كما أن الوسطية كذلك تعرف بالعرف وعادات الناس، فما تعارف الناس عليه أنه وسط فهو كذلك مادام محققا للمصلحة ولا يعارض نصا. يقول الشاطبي :[وَالتَّوَسُّطُ يُعْرَفُ بِالشَّرْعِ، وَقَدْ يُعْرَفُ بِالْعَوَائِدِ، وَمَا يَشْهَدُ بِهِ مُعْظَمُ الْعُقَلَاءِ كَمَا في الإسراف والإقتار في النفقات.][1] فالوسطية تراعي اختلاف الزمان والمكان والعادات .

–والوسطية كذلك تقتضي اتباع الدليل والحق والعدل والصواب مهما كان قائله أو مهما كان مصدره، بلا عصبية لأشخاص أو جماعات أو طوائف، ولاتخضع لضغط الحكام ولا لأهواء العوام فهي ليست داجنة.

– والوسطية تقتضي عدم الجمود على ماعند الأمة من علم ،وتغلق منافذ المعرفة وتجارب الأمم الأخرى، وكذلك لا تتبع كل ناعق،وتقلد غيرها تقليد القردة، بل تستمسك بما لديها من ثوابت وأصول ،وتنظر في كل نتاج للفكر والتجربة باحثة عن الخير والحقيقة فأنى وجدتها فهي أحق بها.ومن ثم فالوسطية ليست ساجنة، أي رهينة الجمود على القديم ،أو العبودية لكل جديد ،بل تأخذ من كل قديم صالح،ومن كل جديد نافع.

والوسطية ليست مائعة، تتلون أو تتشكل كالعجينة حسب مطارق العصر ،وضغط الواقع،بل لها ثوابت لا تتغير ،ومتغيرات لا تقبل الجمود والثبات.

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٨٧) ، وانظر: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، للشيخ محمد الخضر حسين،ص٥٣،ط، نهضة مصر،١٩٩٩م.

وعلى هذا فالوسطية هي أحسن الأمور وأفضلها ،وهي الاعتدال والقصد، وهي كذلك الاستقامة على الصراط المستقيم الذي لا يوجد فيه انحراف ولا اعوجاج ولا ميل إلى إفراط أو تفريط .

وبناء على هذا فكل الوسطيات المزعومة اليوم التي تخالف ما جعله الله تعالى للأمة – من شريعة عادلة، ذات مقاصد سامية– ليست من وسطية الإسلام في شيئ ،لأن وسطية الإسلام قائمة على نورين عظيمين كتاب الله وسنة رسوله وبذلك كانت هادية لأهلها وسط ظلمات الفتن.

الفصل الخامس:

الاعتدال الإسلامي في المفهوم الغربي

تبين في الفصول السابقة حقيقة الوسطية في اللغة والشرع، والاعتدال– باعتباره مرادف للوسطية – لا يتحقق إلا بالتزام الأحكام الشرعية، بيد أن الاعتدال أو الوسطية– في المفهوم الغربي والعلماني له مفهوم آخر لا يتفق مع اللغة أو الشرع، وقد وضعوا ضوابط ومعايير لمعالم الاعتدال الإسلامي بحيث لا يمكن لفرد أو جماعة أن يوصف بالاعتدال إلا إذا آمن وخضع لهذه المعايير المحددة، بل إن شئت فقل: الإسلام نفسه قد وضعوا له ضوابط جديدة لكي يكون إسلاما معتدلا في نظرهم. وفي هذا الصدد سأعرض لمفهوم الاعتدال وضوابطه وسمات أهله في المفهوم الغربي والعلماني من خلال مطلبين.

المطلب الأول:

نبذة عن أهم التقارير الغربية حول الاعتدال

لعل أهم التقارير في هذا الشأن تلك التقارير التي يصدرها المركز الفكري والمؤثر (راند)[١] حيث تعد تلك المؤسسة من أخطر وأهم المؤسسات الثقافية التي تقدم تقارير ذات دراسات عميقة لصانعي القرار الأمريكي في كيفية التعامل مع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية.

ولنأخذ لمحة لبعض الأفكار والرؤى من بعض تقاريرها على النحو التالي:

أولا: في عام ١٩٩٩م

صدر عن مؤسسة راند العديد من التقارير ومن أهمها كتاب ((الإرهاب الجديد)) في ١٥٣ صفحة أعده مجموعة من الخبراء الأمريكين، وأشار الكتاب إلى أن خطر الإرهاب القادم سيتركز في منطقة الشرق الأوسط. [٢]

ثانيا: في عام ٢٠٠٤م، أصدرت المؤسسة كتاب ((العالم المسلم بعد ٩/١١)) في أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ومما جاء في هذا الكتاب كما تقول د.شيرين فهمي ما يلي:

قدم البحث رؤية شاملة للتفاعلات التي ستؤدي إلى تغييرات دينية وسياسية في الواقع الإسلامي، وصنع البحث مساوة مفتعلة بين الإسلام المعتدل وبين

---

(١) مؤسسة راند أو مؤسسة الأبحاث والتطوير: ..RAND Corporation Development) هي منظمة غير ربحية وخلية تفكير أميركية تأسست عام ١٩٤٨ من قِبَل شركة طائرات دوغلاس لتقديم تحليلات وأبحاث للقوات المسلحة الأميركية.يعمل بها ما يقارب من ١٦٠٠ باحث ،وميزانيتها،من ١٠٠-١٥٠ مليون دولار، انظر موسوعة ويكيبيديا.وانظر: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام ص٧.

(٢) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام،قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧ د.باسم خفاجي ص٦.

العلمانيين، ثم تناول الخلافات القائمة بين المسلمين مع التركيز على أهم خلافين :السني الشيعي، والعربي غير العربي.

ويدعو الكتاب إلى مساعدة المسلمين "المعتدلين" و"الليبراليين" على توصيل أصواتهم إلى بقية المجتمعات المسلمة من خلال خلق شبكات ضخمة تتحدث بلسانهم وتعبر عن أفكارهم. ويقول: "إن الحرب من أجل الإسلام سوف تتطلب خلق جماعات ليبرالية بهدف إنقاذ الإسلام من خاطفيه، وإن إيجاد شبكة دولية يعتبر خطوة في غاية الأهمية؛ لأنها ستوفر منبرا أساسيا لتوصيل رسالة المعتدلين وستوفر لهم قدرا من الحماية..

. تشجيع إصلاح المدارس الدينية والمساجد:

يعتبر الكتاب المدارس "الراديكالية" المنتشرة من باكستان إلى جنوب شرق آسيا رافدا أساسيا من روافد الحركات الراديكالية الإرهابية؛ ومن ثم ينادي الإدارة الأمريكية والمؤسسات الدولية ودولا أخرى متضررة من تلك الحركات والجماعات بتكثيف الجهود الرامية إلى إصلاح تلك المدارس عبر إعدادها وتجهيزها لتقدم تعليما حديثا يمد الطالب المسلم بالقدرات "السوقية" والتجارية.

كذلك ينادي الكتاب الإدارة الأمريكية، بتأييد جهود الحكومات والمنظمات المسلمة المعتدلة في جعل المساجد صرحا لخدمة المجتمعات المسلمة، وليس ساحة لنشر الأيديولوجيات الراديكالية[1]. ...

---

(١) راديكاليّ [مفرد]: اسم منسوب إلى راديكاليَّة: من كان على مذهب الراديكاليّة، و"راديكاليَّة، اتِّجاه سياسيّ يطالب بالإصلاح الجذريّ التامّ في إطار المجتمع القائم، ويقوم على إطلاق الحريّة في الاقتصاد وعلى التفكير العقلانيّ غير المتسرّع قبل اتِّخاذ الخطوات المؤدِّية للإصلاح. انظر: [معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٤١)، لكن العالم اليوم صبغ مصطلح "الراديكالية" بمعنى آخر هو التطرف، وأضاف إليه معنى العنف والإرهاب، وكثيرا ما أشير به الي بعض المسلمين في العصر الحديث، ولهذا قال المستشرق البريطاني" هومي بابا "(أستاذ الأدب في إحدى الجامعات البريطانية) إن" :الراديكالية كلمة ذات دلالات سلبية تلصق بالعالم الإسلامي، انظر: ويكيبيديا]

أكثر ما يشدد عليه الكتاب هو ظاهرة انتشار التفسيرات الراديكالية حول الإسلام، وتمكنها من العقول المسلمة. وهي بالطبع ظاهرة تُزعج الإدارة الأمريكية التي ستجد عنتا شديدا في إقناع العقول المسلمة بأفكارها الليبرالية المناهضة للراديكالية، مما سيعني تعطيل المصالح الأمريكية في العالم المسلم. ومن ثم فإن "حرب الأفكار" ليست بالحرب السهلة؛ ...

وهنا يطرح الكتاب "الراندي" سلسلة من المقترحات الاجتماعية والسياسة والعسكرية:

خلاصة القول: إن هذا الكتاب يقدم إستراتيجية للإدارة الأمريكية للتعامل مع الإسلام تقوم على استخدام القوة الرخوة من خلال دعم الإسلاميين المعتدلين وإحداث العديد من التغييرات الثقافية والسياسية عبر دعم جماعات المجتمع الإسلامي المدني التي تسعى إلى تطبيق الاعتدال والحداثة[١]

ثالثا: تقرير راند عام ٢٠٠٥م

صدر تقرير بعنوان (الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والمصادر والاستراتيجيات)

---

(١) الإسلام (المعتدل) هو الحل لأمريكا، مركز (راند) بواشنطن، قراءة وترجمة : شيرين حامد فهمي، باحثة وأستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ٢٥ مارس ٢٠٠٥م .

المصدر:

http://www.islamonline.net/Arabic/politics/٢٠٠٥/٠٥/article٠٣.shtml

وانظر موقع: أروقة الكتاب

http://www.siironline.org/alabwab/arweqat_alketab(٢٠)/١٣٤.htm

اسم الكتاب: العالم المسلم بعد ٩/١١ المؤلف: مركز "راند" بواشنطن قراءة وترجمة: شيرين حامد فهمي.

إن تقرير الإسلام الديمقراطي المدني قد كتبته (شاريل بينارد) [1] وتم إعداده بواسطة مؤسسة راند.

ويرى التقرير أن الإسلام المعاصر في صراع داخلي وخارجي لتحقيق هويته وموقعه من العالم، ومن المصلحة للغرب تشجيع العناصر الإسلامية المتوائمة مع السلام العالمي، والتي تحبذ الديمقراطية والحداثة، وقسمت الباحثة المسلمين– إلى أربع فئات: يختصرها د.باسم خفاجي على النحو التالي:

[مسلمون أصوليون، مسلمون تقليديون، مسلمون حداثيون، ومسلمون علمانيون. أما فيما يتعلّق بالأصوليين فتقول (راند): "يجب محاربتهم واستئصالهم والقضاء عليهم، لأنّهم يعادون الديمقراطية والغرب، ويتمسكون بما يسمى الجهاد وبالتفسير الدقيق للقرآن، وأنهم يريدون أن يعيدوا الخلافة الإسلامية، ويجب الحذر منهم لأنّهم لا يعارضون استخدام الوسائل الحديثة والعلم في تحقيق أهدافهم، وهم ذوو تمكُّن في الحجّة والمجادلة. ويدخل في هذا الباب السلفيون السنة، وأتباع تنظيم القاعدة والموالون لهم والمتعاطفون معهم، و(الوهّابيون)"، كما يقول التقرير. وفيما يتعلق بالتقليديين تقول (راند): "يجب عدم إتاحة أي فرصة لهم للتحالف مع الأصوليين ويجب دعمهم وتثقيفهم؛ ليشككوا بمبادئ الأصوليين وليصلوا إلى مستواهم في الحجّة والمجادلة، وفي هذا الإطار يجب تشجيع الاتجاهات الصوفية ومن ثم الشيعية.. ويجب دعم ونشر الفتاوى (الحنفية) لتقف في مقابل (الحنبلية) التي ترتكز عليها (الوهابية) وغيرها، مع التشديد على دعم الفئة المنفتحة من هؤلاء التقليديين".

(١) وهي عالمة اجتماع ،وروائية،وأحد محللي مؤسسة راند البحثية عام ٢٠٠٩،حصلت على الدتوراة من فيينا، وزوجة زلماي خليل زاد السفير الأمريكي السابق في كل من أفغانستان والعراق.انظر مقدمة كتابها الإسلام الديمقراطي ص٢.

وأوصى التقرير بأهمية أن: "ندعم التقليديين ضدّ الأصوليين، لنظهر لجموع المسلمين والمتدينين وللشباب والنساء ما يلي عن الأصوليين: دحض نظريتهم عن الإسلام وعن تفوقه وقدرته، إظهار علاقات واتصالات مشبوهة لهم وغير قانونية، التوعية عن العواقب الوخيمة لأعمال العنف التي يتخذونها، إظهار هشاشة قدرتهم في الحكم وتخلّفهم، تغذية عوامل الفرقة بينهم، دفع الصحفيين للبحث عن جميع المعلومات والوسائل التي تشوه سمعتهم وفسادهم ونفاقهم وسوء أدبهم وقلّة إيمانهم، وتجنب إظهار أي بادرة احترام لهم ولأعمالهم أو إظهارهم كأبطال وإنما كجبناء ومخبولين وقتلة ومجرمين؛ كي لا يجتذبوا أحداً للتعاطف معهم".] (١)

هكذا يرى التقرير أن الحداثيين والعلمانيين هما أقرب الفئات للاعتدال، ويجب دعمهم وتشجيعهم، وطرح أفكارهم في مناهج المدارس الإسلامية والإعلام(٢)، كما يقترح التقرير أن يتم دعم التقليديين ضد المتشددين، بل دعت (بينارد) إلى تقوية الصوفية لأنها تمثل تفسيرا أكثر خمولا واعتدالا للإسلام. بل وتسلكهم مع الحداثيين وتدعو لدعم التأثير الصوفي في المقررات التعليمية والحياة الثقافية.

وفي المقابل تدعو إلى ملاحقة الأصوليين بقوة، وضرب نقاط الضعف في مواقفهم، وفضح الأخطاء الفاحشة التي يقعون فيها عند تطبيقهم للإسلام، وعجزهم عن القيادة والحكم. (٣)

---

(١) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام،قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧ د.باسم خفاجي ص٨،٩.

(٢) انظر: الإسلام الديمقراطي المدني الشركاء والموارد والاستراتيجيات، شيريل بيراند ص٢٩. ترجمة د. إبراهيم عوض، تنوير للنشر والإعلام، ط، أولى ٢٠١٣م.

(٣) انظر: الإسلام الديمقراطي المدني ص٩٠. المصدر السابق.

بل كشفت عن طموحها النهائي حين كتبت تقول: [ليس من السهل تغيير دين عالمي كبير] (١)

رابعا:تقرير راند لعام ٢٠٠٧م :

هو في الحقيقة تقرير متمم لما سبقه من تقارير في كيفية التعامل مع العالم الإسلامي بعد أحداث سبتمبر، ولعل الجديد فيه هو طرحه لفكرة ما أسماه بناء "شبكات مسلمة معتدلة"

Building Moderate Muslim Networks،

وقد تم وضع ضوابط ومعايير لقياس المسلم المعتدل من وجهة نظر مركز (راند)، وقدم د. باسم خفاجي قراءة وترجمة مختصرة لأهم أفكار هذا التقرير الذي صدر في ٢١٧ صفحة نرصد منه ما يلي:

١- يحاول التقرير أن ينقل المواجهة الفكرية من مواجهة بين الإسلام والغرب، إلى مواجهة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي على غرار الحرب الباردة التي كانت بين المعسكر الشرقي والغربي.

٢- يؤكد التقرير أن حسم المعركة لا تكون إلا بهزيمة الفكر الإسلامي الذي يصفه التقرير بالفكر المتطرف.

٣- يرى التقرير أهمية استعادة تفسير الإسلام من أيدي التيارات الإسلامية، وتصحيح تلك الأفكار حتى تتماشى وتتناسب مع القوانين الدولية في مجالات الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وقضايا المرأة.

٤- أهمية إيجاد تعريف واضح ومحدد للاعتدال الإسلامي، وأن يصاغ هذا التعريف من قبل الغرب.

(١) السابق ص٢٦.

٥- هذا التعريف للاعتدال هو الأداة الوحيدة لتحديد المعتدلين في العالم الإسلامي من أدعياء الاعتدال الذي لا يتوافق مع التعريف الأمريكي والغربي له.

٦- يؤكد التقرير على دعم الأفراد والمؤسسات التي تندرج تحت مفهوم الاعتدال بالتفسير الأمريكي والمقدم في هذا التقرير.

٧- يوصي التقرير بصناعة ودعم شبكة من التيار العلماني والليبرالي والعصراني ممن تنتطبق عليهم شروط الاعتدال، وأن تستخدم هذه الشبكة في مواجهة التيارات الأصولية حتى لو ادعت الاعتدال والتعايش والحوار ونبذ العنف.

٨- يحذر التقرير مما يعتبره خطورة المسجد باعتبار أنه الساحة الوحيدة التي تمثل المعارضة على أسس الشريعة .

٩- معايير الاعتدال هي معايير توضع في الغرب، وليست معايير إسلامية.

١٠- إنشاء شبكات مسلمة معتدلة بديلة عن التيار الإسلامي لدعم المشروع الاستراتيجي.والسماح لهم بحرية انتقاد أمريكا علنا وإعلاميا لتحقيق قدر من المصداقية، لإنشاء وتكوين الشبكات المعتدلة. (١)

(١) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام،قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧ د.باسم خفاجي صـ١٤-١٦ باختصار وتصرف يسير، وانظر: وصفة أمريكية جديدة لبناء شبكات الإسلاميين «المعتدلين» ، تقرير واشنطن، خليل العناني، ٧ أبريل ٢٠٠٧م.

المصدر : مجلة البيان عدد٢٣٩.

المطلب الثاني

مقياس الاعتدال " الراندي"

يعتبرتقرير راند لعام ٢٠٠٧م أن من أهم إسهاماته وضع ملامح رئيسية ، ومجموعة من الأسئلة يمكن من خلالها تحديد ماهية المسلمين المعتدلين في العالم الإسلامي

فمن هذه الملامح – بحسب ترجمة د/ باسم خفاجي– ما يلي:
١– القبول بالديمقراطية وقيمها الغربية، فالإيمان بالديمقراطية يعني في المقابل رفض فكرة الدولة الإسلامية.

٢– القبول بالمصادر غير المذهبية في تشريع القوانين : وهنا تشير الدراسة إلى أن أحد الفروق الرئيسة بين الإسلاميين المتطرفين والمعتدلين هو الموقف من مسألة تطبيق الشريعة .

٣ – احترام حقوق النساء والأقليات الدينية : وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلى أن المعتدلين أكثر قبولاً بالنساء والأقليات المختلفة دينياً، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها.
٤ . نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع : ..و يجب تحديد الموقف من استخدام العنف ومتى يكون مشروعاً أو غير مشروع؟

ويضع التقرير في الفصل الخامس ١١ سؤالاً تشكِّل في مجملها المحددات الرئيسة لوصف الاعتدال المقترح أن تتبناه الإدارة الأمريكية. وهذه الأسئلة هي :

– هل يتقبّل الفرد أو الجماعة العنف أو يمارسه؟ وإذا لم يتقبل أو يدعم العنف

الآن؛ فهل مارسه أو تقبّله في الماضي؟

– هل تؤيد الديمقراطية؟ وإن كان كذلك؛ فهل يتم تعريف الديمقراطية بمعناها الواسع من حيث ارتباطها بحقوق الأفراد؟

– هل تؤيد حقوق الإنسان المتفق عليها دولياً؟

– هل هناك أية استثناءات في ذلك (مثال: ما يتعلق بحرية الدين)؟

– هل تؤمن بأن تبديل الأديان من الحقوق الفردية؟

– هل تؤمن أن على الدولة أن تفرض تطبيق الشريعة في الجزء الخاص بالتشريعات الجنائية؟

– هل تؤمن أن على الدولة أن تفرض تطبيق الشريعة في الجزء الخاص بالتشريعات المدنية؟ وهل تؤمن بوجوب وجود خيارات لا تستند للشريعة بالنسبة لمن يفضِّلون الرجوع إلى القوانين المدنية ضمن نظام تشريع علماني؟

– هل تؤمن بوجوب أن يحصل أعضاء الأقليات الدينية على حقوق كحقوق المسلمين تماماً؟

– هل تؤمن بإمكانية أن يتولى أحد الأفراد من الأقليات الدينية مناصب سياسية عليا في دولة ذات أغلبية مسلمة؟

– هل تؤمن بحق أعضاء الأقليات الدينية في بناء وإدارة دور العبادة الخاصة بدينهم (كنائس أو معابد يهودية) في دول ذات أغلبية مسلمة؟

– هل تقبل بنظام تشريع يقوم على مبادئ تشريعية غير مذهبية؟.[1]

من خلال التأمل في هذه التقارير وتلك الملامح والأسئلة يتبين لنا ما يلي:

أولا: الاعتدال الإسلامي وفق هذه التقارير يعني الاستسلام والخضوع للمبادئ والقوانين الدولية وإن عارضت الشريعة الإسلامية، والاحتكام يكون إليها لا إلى

(١) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧ د.باسم خفاجي صـ٢٦–٢٨ باختصار وتصرف يسير.

الشريعة الإسلامية، خاصة في الجنايات والمعاملات، وحقوق الإنسان والمرأة والجهاد، وحق الارتداد، وتولية الكافر الولاية العامة.

والحقيقة القرآنية أن رفض الاحتكام إلى الشريعة، والاحتكام إلى غيرها، من سمات المنافقين لا من سمات المعتدلين، كما تقرر ذلك سورة النساء في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾

فالهدف من هذا الاعتدال هو صرف المسلمين في المجتمع الإسلامي عن حقيقة الإسلام تحت دعاوى الاعتدال العالمي بالمفهوم الأمريكي، بحيث لا يرجع إلى الوسطية الحقيقية التي تعني الاستقامة على منهج الله تعالى شأنه.

ثانيا: الإسلامي المتطرف بناء على تعريفهم هو كل من يدعو إلى الاعتراف بالشريعة الإسلامية كأساس للتشريع في الدولة المسلمة، بل كل من يسعى إلى إقامة دولة تنهض بالإسلام وتحي شعبه في مؤسساتها فقد خرج عن حد الاعتدال. ويعرف التقرير المسلمين المعتدلين في أوربا كذلك بأنهم [تيار الاندماج في الحياة الأوربية، وتغيير الإسلام ليتناسب مع الحياة الأوربية المتمدنة، مع ممارسة القدر المتاح من الإسلام، والذي لا يتعارض مع أنظمة وقوانين أوربا.] (١)

ثالثا: تكمن خطورة هذا المفهوم الجديد للاعتدال الإسلامي الغربي أنه لو تم اعتماده من الهيئات الدولية سيكون من المسلمات والمبادئ الدولية، وبالتالي تمنع شعوب العالم من الاعتراض عليها، أو مخالفتها كما حدث في مسألة حقوق الإنسان التي أضحت حقوقا للشواذ مع مخالفتها الأديان والفطرة والأخلاق والقيم.

(١) المصدر السابق ص٣٦.

رابعا: من الملفت للنظر في التقرير الأخيرأنه دعا إلى استخراج النصوص الشرعية التي تدعم الاعتدال الإسلامي بالمفهوم الغربي، وأن يستخدم الدعاة الجدد من الشباب للقيام بهذا الدور بعيدا عن المساجد، وأن تستخدم البرامج التلفازية والشخصيات ذات القبول الجماهيري من أجل تحقيق ذلك. (١)

خامسا: حدد التقرير من يندرجون تحت مفهوم الاعتدال الإسلامي بعد تقسيم المسلمين إلى (علمانيين، وإسلامين عصرانيين، وتيار تقليدي معتدل) وقسم التيار العلماني إلى ثلاثة أقسام :

١- العلمانيون الليبراليون، وهم الذين يعارضون تحكيم الشريعة.

٢- أعداء السلطة الدينية، وهم من يعادون العلماء، ويجاهرون برفض الوجود الديني في المؤسسة الحاكمة.

٣- العلماني التسلطي الحكومي، ويمثلهم الكثير من أنظمة الحكم في العالم الإسلامي، وهؤلاء يحذر التقرير منهم لأنهم قد يتعاونون مع التيارات الأصولية أحيانا لمقاومة التغيير..

وأكد التقرير على أن العلمانيين هم أهم التيارات التي يجب العمل معها من أجل بناء الشبكات المعتدلة في الشرق الأوسط. كما يوصي التقرير أن يُستخدم التيار التقليدي والصوفي في مواجهة الإسلام السلفي. وقد تم تعريف التيار التقليدي في هذا التقرير: أنه التيار الذي يصلي في الأضرحة . بخلاف ما تدعو إليه الوهابية . ويميل إلى التمذهب، وعدم الاجتهاد، والميل

(١) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، مصدر سابق، ص٢٩.

نحو التصوف. ويؤكد التقرير أن من مصلحة الغرب إيجاد أرضية تفاهم مشتركة مع التيار الصوفي والتقليدي من أجل التصدي للتيار الإسلامي. (١)

فدعاة الاعتدال الإسلامي وحملة لوائه من وجهة نظر التقرير هم العلمانيون الكارهون لما أنزل الله تعالى،

سادسا: تركز هذه التقارير على فكرة إذكاء الصراع داخل العالم الإسلامي من خلال تقسيمه للمسلمين إلى معتدلين ومتطرفين، وشيعة في مواجهة سنة، وعرب في مواجهة مع غير العرب، وهذه التقسيمات بلا شك تفتت الأمة وتيسر وقوعها في مخالب أعدائها.

فهذا الاعتدال في حقيقته إذن تفريغ للدين من مضامينه، وإحلال للمضامين الغربية الأمريكية خاصة، ووضع المسلمين جميعا في سلة التطرف إلا من رضي بإسلام يتماشى مع التشريعات الدولية والمفاهيم الغربية، وينأى بل يتصدى لكل فكرة إسلامية تتعارض مع المفاهيم والتشريعات الغربية مهما كانت قائمة على أصولها الشرعية، ومعاداة الملتزمين بالإسلام القائم على الكتاب والسنة وتصيد أخطائهم، وتحقير فضائلهم، وتهميش دورهم.

وهذا يتطلب من العلماء والمفكرين حماية مفهوم الوسطية والاعتدال من الاختطاف الغربي والعلماني والليبرالي في العالم الإسلامي والعربي خاصة، والتأكيد على أن الوسطية هي الإسلام الذي أنزله الله تعالى، وأن الوسطية سمة الأمة الإسلامية، أما الوسطية والاعتدال العلماني، فهي محاربة للدين، وإفساد لعقول المسلمين، واستقامة على سبيل المنافقين. وتفريط في مصالح الأمة وحقوقها..

---

(١) المصدر السابق صـ٣٠، ٣١ باختصار وتصرف يسير.

وعلى علماء الأمة ودعاتها والعاملين للإسلام بكل أطيافهم أن يدركوا ما يخطط لهم من أعلى المؤسسات الفكرية الغربية وتقدمه بل تتلقفه جهات حكومية تحوله إلى سياسات وبرامج تفرض على أمتنا الإسلامية، وهذا يتطلب من الجميع إن يعلنوا ولاءهم للإسلام بصدق، وأن يقدروا خطورة المرحلة التي تواجهها الأمة فكريا وثقافيا وأمنيا، وأن لا يسمحوا لعدوهم بالتفريق بينهم، وأن يتقدموا الأمة في الدفاع عن دينها ومصالحها. وعلى الأمة أن تعلم، أن كل جاهل بالشريعة، أو حامل فكر مناهض لها، لن يدرك الوسطية الإسلامية الحقة أبدا، ومهما زعم أنه مجدد للخطاب الديني على أساس الاعتدال والوسطية فلن يسلم من الزيغ والزلل البين والتناقض الصارخ، لأنه لن يدرك الوسطية والاعتدال إلا من تعلم العلم الشرعي بحقه على يدي أهله.

* * * * * * * * *

الخاتمة

بعد هذه الجولة حول مفهوم الوسطية في اللغة والشرع والاصطلاح فإني أختم هذا البحث المتواضع بأهم النتائج والتوصيات التالية:

أولا: النتائج

- تواجه الأمة الإسلامية معركة شرسة في مجال المفاهيم والمصطلحات التي تحافظ على هويتها، وتعمل على إصلاح أحوالها ونهضتها، ومصطلح الوسطية ومفاهيمها من أهم المصطلحات المستهدفة في تلك المعركة.
- الوسطية ليست مادة هلامية مجهولة المعنى، أو مائعة رجراجة يمكن أن يدعيها من شاء لما شاء، بل لها معاني واضحة الدلالة في اللغة والشرع والاصطلاح العلمي.
- الوسطية مصدر صناعي للاسم المشتق (الوسط)، والوسط في اللغة له عدة معاني متقاربة منها:
- ماله طرفان متساويا القدر، والعدل، وخيار كل شيء، والمعتدل من كل شيء، والوسطية تدل على تمكن تلك الصفات الفاضلة في هذا الاسم.
- الوسطية بالمفهوم اللغوي نقيض التطرف، لأن التطرف انحياز إلى الطرف ومجانبة الوسط .
- والوسط كذلك غير الوسطية، فالوسط قد يأتي مذموما –أحيانا–في عالم المادة كما في النهي عن الأكل من وسط الطعام، وكذلك في عالم القيم والمواقف ، كما في اتخاذ موقف وسط بين ظالم ومظلوم ،أو حق وباطل؟؟ أما الوسطية فهي ممدوحة دائما لأنها تعني العدل.

- أما الوسط شرعا فلم يبعد عن المعنى اللغوي، وقد ورد في الآيات والأحاديث بعدة معان منها : ما بين طرفي الشيء، والتوسط بين الإفراط والتفريط، والخيار الأجود، واعتبار الشيء بين الجيد والرديء .
- الوسطية شرعا يمكن أن يقال: أنها أحسن الأمور وأفضلها، وهي الاعتدال والقصد، وهي كذلك الاستقامة على الصراط المستقيم الذي لا يوجد فيه انحراف ولا اعوجاج ولا ميل إلى إفراط أو تفريط.
- أما الوسطية اصطلاحا، فقد تعددت تعاريفها، ولكن هذه التعاريف لم تبعد عن المعنى اللغوي والشرعي، والعلاقة بين هذه التعارف علاقة تكامل لا تناقض، ومن ذلك:
- يرى البعض أن كل خير وعدل يعتبر وسطية وإن لم يكن بين طرفين متباعدين.
- ويرى آخر أن مصطلح (الوسطية) لابد أن تتوافر فيه الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل ، والبينية سواء أكانت حسية أم معنوية. فالوسطية هي هي كل أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا.
- وقيل هي التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل أو بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه. ويطعن على مقابله ويحيف عليه..

وهذا هو معنى العدل والشهادة بالحق وليست التساهل أو الترخص، بل إعطاء كل ذي حق حقه.

وقد رأيت الجمع بين التعاريف فقلت :

هي صفة لخصال محمودة مدحت بها الأمة المسلمة، وتوازن في المنهج الذي جعله الله لها ليحقق التوسط والاعتدال في كل أمور الحياة، ويؤهلها للشهادة على الإنسانية .

وهذا تعريف يرفض الميل إلى أحد الطرفين المتناقضين ويجمع بين عناصر الحق والعدل من المتقابلين والمختلفين والمتنافرين ، ويتسق في الوقت ذاته مع اللغة والشرع الحنيف.

فالوسطية المرادة هنا هي الوسطية المحمودة، وأقصد بها ما كانت حسنة بين سيئتين، أو كانت جمعا بين متقابلين في توازن وعدم بخس لأي منهما. أما الوسط بين خير وشر، أو حق وباطل، أو ظالم ومظلوم فليس وسطا محمودا بحال، لأنه ليس بين طرفين مذمومين كما تقرر سابقا.

- مع كثرة الازمات الضاغطة على الوسطية إلا أن المصطلح يبقى إسلاميا رافضا لكل فكر غريب، لأنه مصطلح لا يعرف إلا الحق والعدل.
- الوسطية جعلت الأمة عليها، ومن ثم لا يجوز للأمة أن تبحث عن الوسطية في غير ما وضعه الله تعالى لها. فالذي يحدد الوسطية هو الله تعالى.
- الوسطية القائمة على منهج الله تعالى لا تجمد على النص ولا تعطل العقل ، بل تعمل النص ،وتحترم العقل الذي يتدبر في آيات الله الشرعية والكونية ، ولا تعارض بين العقل الصريح والنص الصحيح ،فكلاهما نور على نور، ومن ثم فالعقل أداة الاجتهاد، وبه يتسع نطاق الشريعة، ويتناول من الوقائع المستجدة مالا يتناهى من القضايا ،ومن هنا يتبين أن العقل إحدى السبل في إدراك الوسطية.
- كما أن الوسطية كذلك تعرف بالعرف وعادات الناس، فما تعارف الناس عليه أنه وسط فهو كذلك مادام محققا للمصلحة ولا يعارض نصا، ومن ثم كانت الوسطية مراعية لاختلاف الزمان والمكان والعادات .

- الوسطية ليست إلغاء للثوابت أو تهميشا لها أو الرضا بالترقيع والتلفيق ومجاراة الواقع.
- المدلول الشرعي للوسطية يشكل اصطداما ببعض التيارات والاتجاهات في الواقع .
- الاتجاهات والتيارات والمؤسسات التي ترفع شعار الوسطية تختبر وفق هدي النبي ﷺ فهو الوسطي بحق وما خالف هديه ﷺ فهو مجانب للوسطية والاعتدال، ولا عبرة بالرايات والشعارات.
- إن حركات الغلو و التطرف، مجافاة للوسطية ووسيلة يستغلها أعداء الأمة والملة في تنفيذ خططهم لضرب الوسطية ودعاتها .
- لن تتحقق الوسطية كاملة ولن تجني الأمة ثمارها الوارفة، إلا بوجود نظام حكم إسلامي راشد يقدم صورة صادقة لحقيقة الإسلام بلا إفراط ولا تفريط قدر استطاعته.
- رفع الشقاء عن الأمة الإسلامية بل والبشرية هو في سلوك سبيل الوسطية الحقة فكرا وتطبيقا وبذلك تنقذ الأمة نفسها وإسلامها من مخالب الظالمين المهلكة.
- الوسطية ليست جزئية في الدين بل هي روح يسري في جميع شعبه عقيدة وشريعة وأخلاقا وحضارة. فهي منهج للفرد والشعوب والدول.
- بما أن الوسطية تستوعب الإسلام كله، فإن تطبيقها ليس عمل الحكام وحدهم، وإن كانت مسئوليتهم فيها كبيرة لما تحت أيديهم من سلطات، إلا أن الشعوب تتحمل الالتزام بالوسطية في الأمور التي لا تحتاج إلى سلطة الدولة.
- الجاهل بالإسلام والمستخف به لا يمكن أن يصيب المنهج الوسطي.

ويوصي البحث:

- الاستمرار في التأليف والشرح لمعاني الوسطية وبيان ضوابط الوسطية الحقة.
- على العلماء والمفكرين والدعاة والمصلحين والمربين أن يبذلوا جهودهم في حث الشعوب على تطبيق ما يخصها من الإسلام وبذلك يتعاون الجميع في إقامة الوسطية.
- كما يجب عليهم أيضا أن يكونوا على يقظة تامة حتى لا يتم تفريغ مصطلح الوسطية من معناه فيتحول إلى وسيلة تفريغ للدين من عقيدته وأحكامه، كما تفعل بعض مراكز البحوث الغربية بواسطة نفر من المسلمين لصياغة اسلام وسطي جديد، بحيث يتعانق مع مصالحهم، ويضعون أيديهم على المسلمين بمصطلحات المسلمين.
- دعم المؤسسات والتجمعات والهيئات والتيارات الوسطية في الأمة الرسمية منها والشعبية بكل الوسائل الممكنة لنشر الوسطية والتمكين لها.
- وعلى أهل الاجتهاد من العلماء أن يجددوا ويبدعوا الخطط والبرامج التغيرية والإصلاحية على أصول علمية منهجية لإنقاذ الأمة في شتى المجالات فهم قادة الأمة ومقيموا الملة ونجومها الهادية في المحن الحالكة.
- دعم وتعزيز لجان رصد فكر الغلو والتشدد والمجون والتسيب لمطاردته كما تطارد العملات المزيفة، والعلل المهلكة.
- تكوين ثقافة إسلامية فكرية وعملية تبين كيف يعيش المسلم بالإسلام، وتتدرج بالدارس من الحضانة حتى الجامعة. بحيث تعرض الإسلام بشموله وتكامله، وتتجنب الانتقاص لأي جانب من جوانبه.

- إبراز وسطية الإسلام في تعامل الشباب مع ولاة الأمور، ورعاية حقوقهم والأدب في نصحهم، وإبراز تسامحه مع غير المسلمين المسالمين، فالوسطية تخدم كل البشر وتيسر التعارف والتعايش وهي سر امتداد الإسلام والمسلمين في أرض الله تعالى شأنه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن للجصاص ،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ت: محمد صادق القمحاوي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣- استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، قراءة في تقرير مؤسسة (راند) ٢٠٠٧م، د/ باسم خفاجي، المركز العربي للدراسات الإنسانية، سلسلة رؤى معاصرة، العدد ٤،مايو ٢٠٠٧م.

٤ – الإسلام الديمقراطي المدني الشركاء والموارد والاستراتيجيات، شيريل بيراند، ترجمة د. إبراهيم عوض، تنوير للنشر والإعلام، ط، أولى ٢٠١٣م.

٥- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)،ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ .

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية.

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

٨- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)،المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ.

١٠- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١١- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)،ت: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت : أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٣- الجامع المسند الصحيح ..= صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٥- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.

١٦- الرسالة :للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، ط ١، ١٣٥٨هـ.

١٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.

١٨- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ت: شعَيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٩- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)،المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي ، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٠- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ت: أحمد محمد شاكر و آخرون، الناشر: الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٢١- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)،مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٢- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، للشيخ محمد الخضر حسين، ط، نهضة مصر،١٩٩٩م.

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٤- صحيح ابن حبان – مخرجا، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٢٥- طبقات المفسرين للداوودي، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، ت: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية،ط١ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٧- العالم المسلم بعد ٩/١١ المؤلف: مركز "راند" بواشنطن قراءة وترجمة: شيرين حامد فهمي.

٢٨- غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.

٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٠- فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، ت: محمد زكي الخولي، مكتبة أضواء المنار – المدينة المنورة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٣١- القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية، ت: د. أحمد بن محمد الجليل، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٣٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٣٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٥- مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٣٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٣٧- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، ت: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط:١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٨- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ت : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٣٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ) ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٠- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)ت: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،ط، أولى – ١٤١٢ هـ.

٤١- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ،المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٣- وسطية الإسلام وسماحته، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٤٤- الوسطية الطريق إلى الغد، د. عبد الله بن عبد العزيز اليحي،ط،دار كنوز إشبيليا،ط: أولى ٢٠٠٩م الرياض،السعودية.

٤٥- الوسطية في الإسلام ،د. فريد عبد القادر، مخطوط.

٤٦- الوسطية في ضوء القرآن الكريم د. ناصر بن سليمان العمر، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٤٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفى: ٦٨١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

Contents

ملخص البحث ٥٠٢
المقدمة ٥٠٦
أسباب اختيار الموضوع وأهميته: ٥٠٦
أهداف البحث: ٥٠٧
خطة البحث: ٥٠٨
الفصل الأول: مفهوم الوسطية في اللغة ٥٠٩
الفصل الثاني: مفهوم الوسطية في القرآن الكريم ٥١٣
الفصل الثالث: مفهوم الوسطية في السنة ٥٢٤
الفصل الرابع : ٥٢٩
مفهوم الوسطية في الاصطلاح ٥٢٩
الفصل الخامس: ٥٣٤
الاعتدال الإسلامي في المفهوم الغربي ٥٣٤
المطلب الأول: ٥٣٥
نبذة عن أهم التقارير الغربية حول الاعتدال ٥٣٥
المطلب الثاني ٥٤٢
مقياس الاعتدال " الراندي" ٥٤٢
الخاتمة ٥٤٨
أولا: النتائج ٥٤٨
ويوصي البحث: ٥٥٢
أهم المصادر والمراجع ٥٥٤
فهرس الموضوعات ٥٦١